

234216 - هل يقرأ سورة بعد الفاتحة في الركعتين الثالثة والرابعة ؟

السؤال

لدي سؤال في القراءة بعد الفاتحة في الركعتين الثالثة والرابعة , وقد أشرت في فتوى رقم: (131010) لفتوى ابن باز -رحمه الله-.

السؤال :

ما سبب قياس العلماء حديث أبي قتادة -رضى الله عنه- في عدم القراءة بعد الفاتحة في الثالثة والرابعة على صلاة المغرب والعشاء ولم يقيسوا حديث أبي سعيد -رضى الله عنه- في ذلك ؟ وكيف جزم أبو قتادة في ذلك مع أنها صلاة سرية , أما أبو سعيد فقال (حزنا..) ؟

الشق الثاني :

في حديث أبي سعيد عند مسلم وغيره : " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية ، وفي الأخرين قدر خمس عشرة آية أو قال نصف ذلك ، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية ، وفي الأخرين قدر نصف ذلك .
أليس الأوليان من الظهر دليلاً على القراءة الطويلة نوعاً ما ، 30 آية ؟
والأخريان من الظهر والأوليان من العصر دليلاً على الزيادة على الفاتحة 15 آية ، والأخريان من العصر ألا تكون دليلاً على عدم القراءة بعد الفاتحة لأنها قد النصف ، 7 او 8 آيات تقريباً الفاتحة ؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

روى البخاري (759) ، ومسلم (451) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا، وَيَفْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ " .

فهذا الحديث يدل على الاقتصار على الفاتحة في الركعتين الأخيرين .

ولكن يعارضه ما رواه مسلم
(452) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ خَمْسِ عَشْرَةَ آيَةً أَوْ قَالَ نِصْفَ ذَلِكَ - وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ قِرَاءَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ آيَةً وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ نِصْفِ ذَلِكَ " .

فاختلف العلماء في العمل

بهذين الحديثين ، وأكثرهم قَدَّمَ العمل بحديث أبي قتادة [وهو مذهب الأئمة الأربعة ، إلا قولاً للشافعي وأحمد] ، وذلك لما يلي :

1- أنه أصح من حديث أبي سعيد ، فقد رواه البخاري ومسلم ، أما حديث أبي سعيد فقد انفرد به مسلم .

2- أن حديث أبي قتادة وافق المنقول عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم كعمر وعلي وابن مسعود وجابر وعائشة ، بل نقل ابن سيرين رحمه الله ما يفهم منه الإجماع على ذلك .

فقد كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى شُرَيْحٍ : " أَنْ أَقْرَأُ فِي

الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، وَفِي

الْأُخْرَيَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ " انتهى من " الأوسط " (3/268) .

وعن علي رضي الله عنه أنه : " كان يأمر أو يحث أن يقرأ خلف الأمام في الظهر والعصر

في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة ، وفي الركعتين الأخيرين بفاتحة الكتاب "

رواه الدارقطني وقال: وهذا إسناد صحيح ، وصححه الألباني في "إوراء الغليل" (2/283)

وورى ابن ماجه (843) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : " كُنَّا نَقْرَأُ

فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ خَلْفَ الإِمَامِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ

بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ "

صححه الألباني في "إوراء الغليل" (2/288) .

وقال ابن سيرين : لا أعلمهم يختلفون في أنه يقرأ في الركعتين الأوليين بفاتحة

الكتاب وسورة ، وفي الأخيرين بفاتحة الكتاب " انظر : "المغني" (2/281) .

وهذه طائفة من أقوال العلماء

في ذلك :

قال الصنعاني في "سبل السلام" (2/118) عن الجمع بين الحديثين :
"وَلَعَلَّهُ [حديث أبي قتادة] أَرْجَحُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حَيْثُ
الرِّوَايَةُ ، لِأَنَّهُ اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشُّيْخَانِ ، وَمِنْ حَيْثُ
الدَّرَايَةُ ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ مَجْرُومٌ بِهِ ، وَحَبْرٌ أَبِي سَعِيدٍ
انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ ، وَلِأَنَّهُ حَبْرٌ عَنْ حَزْرٍ وَتَقْدِيرٍ
وَتَظَنُّنٍ " انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله في

كتابه "الصلاة" (ص 185) :

"وقد احتج بحديث أبي سعيد من استحباب قراءة السورة بعد الفاتحة في الأخيرين ، وهو
ظاهر الدلالة لو لم يجرى حديث أبي قتادة المتفق على صحته : أنه (كان يقرأ في
الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين ، وفي الأخيرين بفاتحة الكتاب) ؛ فذكر السورتين في
الركعتين الأوليين واقتصره على الفاتحة في الأخيرين : يدل على اختصاص كل ركعتين
بما ذكر من قراءتهما. وحديث أبي سعيد يحتمل لما قال أبو قتادة ، ولما قال أبو سعيد
، وحديث أبي سعيد ليس صريحا في قراءة السورة في الأخيرين ، فإنما هو حزر وتخمين"
انتهى .

وسياتي في كلام ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" أنه يمكن الجمع بين الحديثين .

وإذا كان حديث أبي قتادة

أرجح ، فقياس القراءة في الأخيرة من المغرب ، والأخيرين من العشاء ، عليه : أولى
وأظهر ، وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء ، ولم يقيسوا الأمر في المغرب والعشاء على
حديث أبي سعيد .

وكذلك فعل ابن قدامة رحمه الله في "المغني" (2/281) حيث قال :

" مَسْأَلَةٌ : قَالَ الْخُرْقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (وَلَا يَزِيدُ عَلَى قِرَاءَةِ أُمَّ

الْكِتَابِ فِي الْأُخْرَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ، وَعِشَاءِ الْآخِرَةِ

وَالرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ)

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ : أَنَّهُ لَا تُسَنُّ زِيَادَةُ الْقِرَاءَةِ عَلَى أُمَّ

الْكِتَابِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ غَيْرِ الْأُولَيَيْنِ ... ثم استدل بحديث أبي

قتادة " انتهى .

ثانيا :

وقد ذهب الإمام الشافعي رحمه الله في أحد قولييه إلى تقديم حديث أبي سعيد ، وقاس عليه سائر الصلوات ، إلا أن الصحيح عند أكثر أصحابه القول الآخر الموافق لحديث أبي قتادة ، ولجماهير العلماء ، كما ذكر ذلك النووي رحمه الله في "المجموع" (3/351) .

ثالثا :

ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين حديثي أبي قتادة وأبي سعيد ، بأن حملوا حديث أبي قتادة على الغالب والأكثر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي سعيد على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يزيد على الفاتحة في الركعتين الأخيرين أحيانا .

قال الصنعاني رحمه الله في "سبل السلام" (2/118) :

" وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ كَانَ يَصْنَعُ هَذَا تَارَةً ، فَيَقْرَأُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ غَيْرَ

الْفَاتِحَةِ مَعَهَا ، وَيَقْتَصِرُ فِيهِمَا أَحْيَانًا ، فَتَكُونُ الرِّيَادَةُ

عَلَيْهَا فِيهِمَا سُنَّةً تُفَعَّلُ أَحْيَانًا ، وَتُثْرَكُ أَحْيَانًا " انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (1/239) :

"وَعَلَى هَذَا فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا أَكْثَرُ فِعْلِهِ [يعني

العمل بما في حديث أبي قتادة] ، وَرَبَّمَا قَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ

الْأُخْرَيَيْنِ بِشَيْءٍ فَوْقَ الْفَاتِحَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي

سعيد " انتهى .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الذي يظهر أن إمكان الجفَع حاصلٌ بين الحديثين ، فيقال: إن الرَّسُولَ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَفْعَلُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ ، وَأَحْيَانًا يَفْعَلُ مَا

يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ " .

انتهى من "الشرح الممتع" (3/215).

وينظر تقرير الشيخ ابن باز رحمه الله ، في النص المنقول عنه ، في السؤال رقم

(131010).

رابعاً :

أما جزم أبي قتادة رضي الله عنه بذلك مع أن الصلاة كانت سرية ، فيحتمل أن النبي صلى

الله عليه وسلم أخبرهم بذلك ، ويحتمل أنه قامت عنده قرائن على هذا الحكم ، وقويت

عنده فأخبر بهذا على سبيل الجزم .

قال ابن دقيق العيد تعليقا على حديث أبي قتادة :
” فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْاِكْتِفَاءِ بِظَاهِرِ الْحَالِ فِي الْاِخْبَارِ ،
دُونَ التَّوَقُّفِ عَلَى الْيَقِينِ .

لِأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْعِلْمِ بِقِرَاءَةِ الشُّورَةِ فِي السَّرِّيَّةِ : لَا
يَكُونُ إِلَّا بِسَمَاعِ كُلِّهَا .

وَإِنَّمَا يُفِيدُ الْيَقِينُ ذَلِكَ لَوْ كَانَ فِي الْجَهْرِيَّةِ .

وَكَأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ سَمَاعِ بَعْضِهَا ، مَعَ قِيَامِ الْقَرِيبَةِ عَلَى
قِرَاءَةِ بَاقِيهَا .

ويحتمل أن يكون أخذ ذلك بإخبار الرسول صلى الله عليه
وسلم ، وهو بعيد جداً .

انتهى من ” إحكام الأحكام ” (ص 275) ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في ” فتح الباري ”
(2/286) .

خامسا :

أما دلالة حديث أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ في الركعتين الأخيرين
شيئا بعد الفاتحة ، فليس كذلك ، لأن الظاهر أنه أراد بقراءة خمس عشرة آية في
الأخيرين من الظهر ، ونصف ذلك في الأخيرين من العصر أي : بعد قراءة الفاتحة .
ولذلك قال الطحاوي رحمه الله : ” ففي ذلك ما قد دل على أنه قد كان يقرأ في الركعتين
الأخيرين من الظهر ، وفي الركعتين الأخيرين من العصر : زيادة على فاتحة الكتاب ،
التي هي سبع آيات لا غير ” انتهى من ” بيان مشكل الآثار ” (11/212) .

والله تعالى أعلم .